الجزيرة العربية أصل الحضارة (3)

(لِمَن طَلَلٌ كَالوَحيِ عافٍ مَنازِلُه عَفا الرَسُّ مِنهُ فَالرُسَيسُ فَعاقِلُه
فَرَقدٌ فَصاراتٌ فَأَكنافُ مَنعِجٍ فَشَرقِيُّ سَلمى حَوضُهُ فَأَجاوِلُه
فَوادي البَدِيِّ فَالطَوِيُّ فَثادِقٌ فَوادي القَنانِ جِزعُهُ فَأَفاكِلُه)

في أبيات زهير بن أبي سلمى السابقة أحد عشر موضعًا، كلها هنا في الجزيرة العربية وبالتحديد في عالية نجد، حيث منازل الشاعر وهو من مزينة، وكذلك منازل العديد من القبائل العربية آنذاك.

تاريخ العرب كل العرب إنما بدأ من هنا، فهنا الأصل، ولا غرابة أن يكون الأصل هو المحور الرئيس في قيادة الأمة ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا و...

وحسان بن ثابت يذكر موضعًا تاريخيًا ويخلده في ديوان العرب (جبل رضوى) العريق:
(ولو وزنت رضوى بحلم سراتنا لمال برضوى حلمنا ويلملم)

ويخلد كذلك جبلين من أشهر جبال الحجاز بين مكة والمدينة، وإن اشتملت على هجاء إلا إنها ذكرت موضعين بارزين معروفين الآن، وإن أصاب أحدهما تصحيفًا حيث قدس تنطق اليوم أدقس بعد أن مرت بـ أقدس ثم استقرت على أدقس!
(رُبَ خالَةٍ لَكَ بَينَ قُدسَ وَآرةٍ تَحتَ البَشامِ وَرَفغُها لَم يُغسَلِ)

وقوله في (عمق)وهي موضع من نواحي الفرع: (جاءَت مُزَينَةُ مِن عَمقٍ لِتَنصُرَهُم اِنجي مَزينَةُ في أَستاهِكِ الفُتُلُ)
وقول أبي سلمى ربيعة المزني والد زهير: (ولنا بقُدسٍ فالنقيعِ إلى اللوى رجَعٌ إذا لهَثَ السِنتي الوالِغُ)

ويقول كعب بن زهير: (أَنتَ اِمرُؤٌ مِن أَهَلِ قُدسٍ وآرةٍ أَحَلَّتكَ عَبدَاللَهِ أَكنافَ مُبهِلِ)
و(آرة) جبل شامخ في وادي الفرع معروف باسمة الآن.

وقال الشاعر في ذكر (خلص) المعروفة: (فإن بخلص فالبريراء فالحشا فرقد إلى البقعاء من وبعان).
ومن المواضع جبلين يراهما المسافر في طريقه تجاه مكة بعد قرية اليتمة هما (برام وعبوّد) ولهما قصة يرويها الناس ضمن الأساطير ليس الآن ما يناسب لعرضها

محمد عوض الله العمري

يقول المحرّق المزني في جبل (برام): (وإني لأهْوى مِنْ هَوَى بَعْضِ أهله براماً وأجزاعاً بِهِنّ بِرَامُ)

وقال شاعر آخر في جبل(عبوّد): (كأنني خاضب طرّت عقيقته، أجنى له الشري من أطراف عبّود)

أما (كثيرّ عزّة): أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي من شعراء العصر الأموي، المتوفى سنة ١٠٧ للهجرة فقد خلد شعره العديد من المواضع القريبة من المدينة المنورة، فيذكر أيلة، وأيلات معروفة ناحية رضوى
(رأيْتُ وأصحابي بأَيلَةَ موهنا وقد لاح نجم الفرقد المتصوّبُ)

ويذكر (رضوى): (وأعرض من رضوى من الليل دونها هِضابٌ تردُّ العين ممن يشيعُ)
وكذلك ذكر موضع ا(لنجيل) و (أليل) وهما واديان معروفان ناحية وادي الصفراء
(وطبّق من نحوِ (النُّجَيْلِ) كأنّهُ بـ(أَلْيَلَ) لمّا خلّف النخلَ ذامرُ)

وسويقة وهي من قرى ينبع النخل: (وفي الأحداجِ حينَ دنونَ قصرا بحزنِ (سويقَة) بقَرٌ دَموجُ)
والعشيرة وهي من قرى ينبع النخل أيضًا وكانت فيها إحدى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:
(ولم يعتلِجْ في حاضرٍ متجاورٍ قفا الغَضيْ من وَادِي العُشَيرَةِ سَامِرُ)
وقال: (ومَرّ فأروى ينبع فجنوبها وقد جيد منه جيدةٌ فعباثِرُ) ينبع المعروفة، وعباثر وادٍ غرب المدينة يسيل في ينبع النخل.

وذكر (بدر) التاريخية المعروفة والعنابة (فقلتُ وقد جعلنَ بِراقَ بدر يمينًا والعنابة عن شمالِ)
(الخيف) في وادي الصفراء يقول كثيرّ: (توهمتُ بالخيفِ رسما محيلا لعزّةَ تعرفُ منه الطلولا)
(يَلْيَل): وهو اسم وادي الصفراء قديمًا (كأن حمولَهم لمّا تولت بيَلْيلَ والنوى ذات انفتالِ)
(ملل) و (ودّان)وهي (مستورة) حاليًا قرية تاريخية
(وقد مرت على تربان تحدى ... لها بالنعف من ملل وسيج
وبالسرحات من ودان راحت ... عليها الرقم والبلق البهيج)

(مجاح) وهو وادٍ ناحية الفرع بينه وبين القاحة وبه مر الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء الهجرة و (عمق) كذلك ناحية الفرع و (النقيع) وادٍ معروف جنوب المدينة المنورة بالقرب من اليتمة وسميّ بوادي الحمى حيث حماه الرسول عليه الصلاة والسلام لخيل المسلمين ترعى فيه.

قال كثيرّ: (إذا أَمسَيتُ بَطنُ مُجاحَ دوني وَعَمقٌ دونَ عَزَّةَ فَالنَقيعُ)
والمواضع الجغرافية التي كانت أيقونة للحوادث والتاريخ العربي القديم معظمها في أرضنا وأمام أعيننا، ولكن أخشى على الأبناء والناشئة ألا يدركوا هذا الإرث العظيم إن لم يجدوا من يعيد طرحه، ويجدد ذكر ذكرياته، ويكثف من ذلك بصور ونماذج متعددة ومختلفة إضافة للكتابة والكتب والبرامج الوثائقية.

(أجل.. نحن الحجاز.. ونحن نجد هنا.. مجد لنا.. وهناك مجد)*

غازي القصيبي